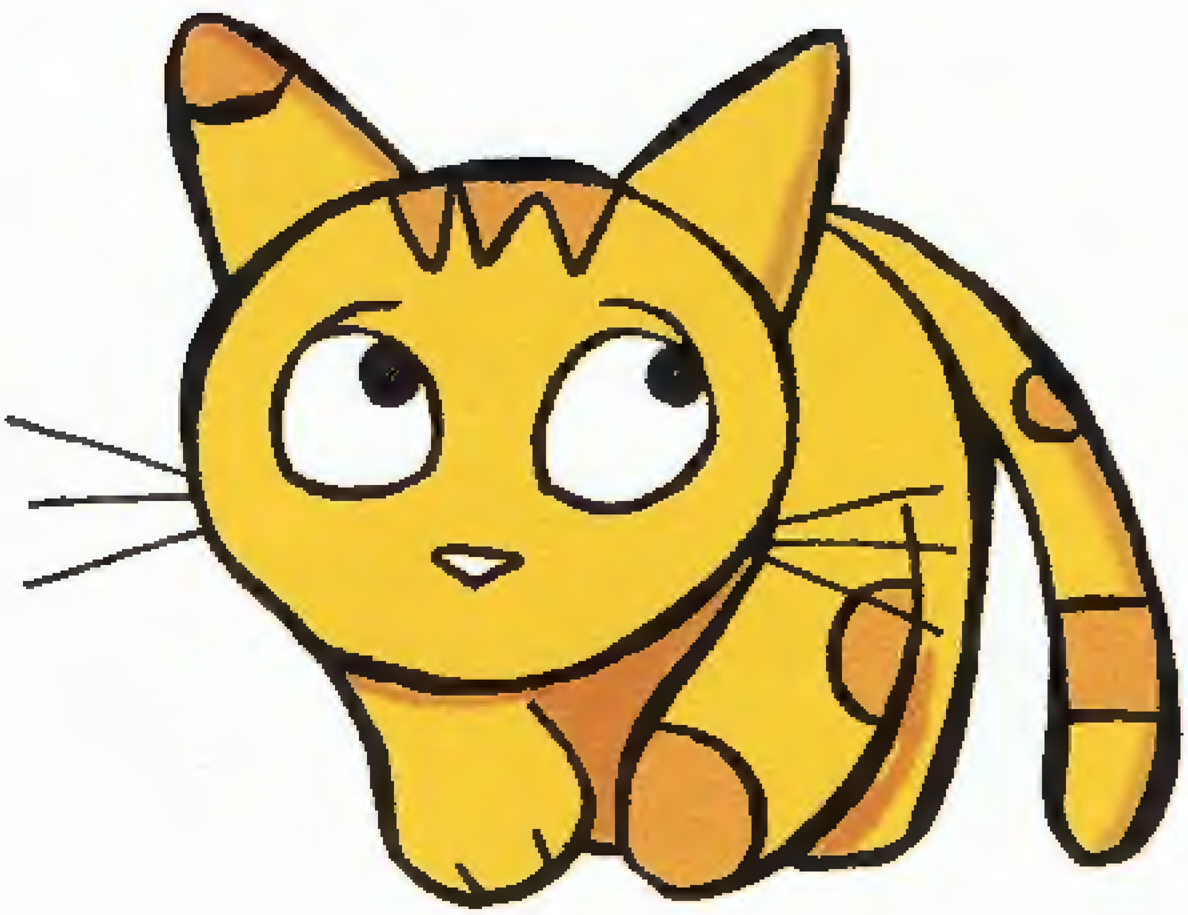
عنتر الاشقر



تأليف: عايدة نعمان
رسم: ميشال ستانجوفسكي

دار النهضة العربية
أصالة للنشر والتوزيع – طبعة أولى 2009
ISBN: 978-9953-513-85-0
تلفون: +961 1 736 093
فاكس: +961 1 736 071
ص.ب.: 11/3434
الزيدانية، بناية كريدية – بيروت، لبنان

عنتر الاشقر



تأليف: عايدة نعمان
رسم: ميشال ستانجوفسكي

أجدُ من الصعبِ أنْ أركّزَ على دروسي حينَ أجلسُ في غرفتي المطلّةِ على البحرِ في رأسِ بيروتَ، لأني مشغولُ البالِ على هرّي المفضلِ «عنتر الأشقر». حتى إنني أتوَهَّمُ أنَّه جَائعٌ وخائفٌ وربما يكونُ أيضاً في خطر.

تعرَّفْتُ على «عنتر الأشقر» منذُ سنةٍ تقريباً حين ذهبنا أنا وأختي مريانا وأمي وأبي إلى بيتِنا في سوق الغربِ لتمضيةِ الويك أند في فصلِ الصيف. مريانا وأنا لا نتحمسُ كثيراً للذهابِ إلى الجبلِ لأنَّنا نفضّلُ الذهابَ إلى شَاطئِ البحرِ في بيروتَ خاصة وأنَّ بيتَنا لا يَبْعُدُ عن الشاطئِ سوى عشرِ دقائقَ مشيا على الأقدام. ولكنّ أمي وأبي يصرَّانِ على اصطحابِنا إلى الجبلِ في نهايةِ كلِّ أسبوع.

– ولكنّنا نمَلُّ في الجبل. كنتُ أقولُ لأبي، فيصيحُ قائلا:

– رامي ساعِدْ أمَّك في نقلِ الأمتعةِ إلى السيارة.. ولا تجادلْ..

هكذا يُنهي والدي النقاشَ المتكرِّرَ كلَّ أسبوعٍ إلى أنْ تعرَّفْتُ على «عنتر الأشقر» فأصبحْتُ أنتظرُ الويك أند بشوقٍ كبيرٍ لنصعدَ جميعاً إلى سوقِ الغرب.

أذكرُ أوَّلَ مرةٍ رأيتهُ، كنتُ أوزِّعُ الطعامَ على مجموعةٍ من الهررةِ تتجمعُ في الحديقةِ قربَ بركةِ الماء. ما إن تسمعُ زمورَ سيارتِنا حتى تأتيَ مهرولةً من كلِ جهةٍ وكأنّها لم تتناولْ طعاماً لمدَّةِ أسبوعٍ كامل. والحقيقةُ أنها جشعةٌ لا تشبعُ أبدا، إذْ إنّ جيرانَنا في الجبلِ يطعمونها.

وكذلك تصطادُ الحشراتِ والسحاليَ والضفادعَ وأحياناً العصافيرَ التي تأتي إلى بركةِ الماءِ لتشرب. كانوا خمسةَ أو ستةَ هررةٍ بألوانٍ متعددةٍ وأحجامٍ مختلفةٍ تتدافعُ بشراسةٍ لالتهامِ الطعام. وكانت أمي تسمّيها «عصابةَ الويك أند» وأبي كانَ يُعرِّفُها «بزبائن الرستوران».



لم يكن بينها أيُّ هرٍّ أحمرَ أو أشقرَ. لاحظْتُ يوماً كرةً من الفروِ الأحمرِ والأشقرِ تقتربُ من باقِي الهررةِ قربَ البركةِ. ظننْتُ أنَّهُ هرٌّ غريبٌ عن الحيِّ لأنَّ جميعَها كانت تأتي معاً لتتناول الطعامَ وتتجمّع معاً وفي نفسِ المكانِ. حينها كانَ والدي يُطلُّ من نافذةِ المطبخِ ويقولُ:

- رامي، لقد حضرَ «زبائنُ الرستوران» اذهبْ أنت ومريانا وأطعمها.



وفيما كنتُ أفكِّرُ من أينَ أتى هذا الزائرُ الجديدُ إلى «الرستوران» فجأةً توقفَتْ جميعُ الهررةِ عن إلتهامِ طعامها والتفتَتْ كلُّها وبنفسِ الوقتِ نحو الهرِّ الأشقرِ وانقضّتْ عليهِ وكأنَّهُ هرٌّ قادمٌ من كوكبٍ آخر. كانَت تزمجرُ في وجههِ وتكشفُ عن أنيابِها وكأنَّها سوفَ تأكلُهُ بدل الطعام. ركضْتُ مع مريانا نحوَها وإذْ بالصغيرِ قدْ تكومَ على نفسهِ

فأصبحَ ككُرةِ الفروِ الأحمرِ والأشقرِ. رأيتُ عَيْنَيْهِ المذعُورَتينِ فقط تتطلعانِ نحوي مستَغيثَتَينِ دونَ أنْ يصرُخَ أو حَتّى أن يحاولَ الدّفاعَ عن نفسهِ. مَضَتْ بِضْعُ لحظاتٍ قبلَ أَنْ نَنْجَحَ في إنقاذِهِ مِنْ «عصَابَةِ الويك أند». بعدها عادت إلى طعامها، وحَاوَلْتُ أنا مع أختي أَنْ نحملَهُ بعيداً لكنَّهُ رَكَضَ هارِبًا ولمْ نعرفْ أينَ ذهبَ واختبأ.

حينَ جلسنا مساءً على طاولةِ العَشاءِ أخبرْنا أمي وأبي عن الزائرِ الصغيرِ وعن تصرُّفِ الهررةِ الوحشي تجاهَهُ. وكان اثنانِ مِنْ أولادِ الجيرانِ ممنْ أصبحوا رفاقاً لنا يشاركاننا العشاءَ.

– ريّان هل تعرفُ هِرّاً أشقرَ صغيراً يعيشُ في حَيِّنا؟ سَألتُهُ.

– إنَّهُ يشبهُ غارفيلد الهرَّ الذي نراهُ على التلفزيونِ، قالتْ مريانا.

تطلَّعَ ريّان صوبَ أختِهِ فاطمةَ وكنا ندعوها «تيما» وكانا يُمضيان أولَ صيفٍ لهما في البلدة، وأخذا يتساءلان ولكنّهما أكّدا أنَّهُ غريبٌ عن الحيِّ ولا بدَّ أنَّ أحدَهم ألقى به من سيارةٍ مارةٍ في الشارعِ الرئيسي. اقترحَتْ أمي أن نجمعَ ما يتبقى في صحونِنا من طعامٍ وأن نحاولَ أن نجدَ الهرَّ الذي سميناهُ «كرة الفرو» إذ ربما يكونُ جائعاً.

– ولكن إيَّاكُمْ أنْ تأتوا به إلى البيتِ.. حذرتْنا أمي لأنَّها لم تكُنْ تسمحُ لنا باقتناءِ كلبٍ أو هرٍّ في بيتِنا في بيروت.

لم يشعُرْ والداي أنّنا جميعاً نحنُ الأولادَ أكلنا كلَّ ما في صحونِنا سوى قطعِ اللحمِ التي جمعناها معاً وقصدْنا الحديقةَ نفتِّشُ في زواياها عن

الزائرِ الغريبِ دونَ جدوى إلى أنْ صَرخَتْ تيما من حديقةِ بيتِها:

- رامي، مريانا تعالا إنَّهُ هنا.. ركضْنا صوبَ حديقتِها المجاورةِ لحديقةِ بيتِنا وفي قناةِ المياهِ الجافةِ كان الصغيرُ مكوَّماً على نفسِهِ.

- كِدْنا ندوسُ عليهِ لأنّنا لم نرهُ في العتمةِ، قالتْ تيما.

- خاف منا وحاولَ أن يهربَ ولكننا أحطنا به فتسمَّرَ في مكانِهِ، قال ريّان.



مرَّةً أخرى رأيتُ العينين الخضراوين يطلانِ من كرةِ الفروِ يستغيثانِ بي وكأنّهُ تعرَّف عليَّ. قرّرنَا أنْ نضعَ الطعامَ قربَهُ ونبتعدَ قليلاً حتى

يطمئنَّ ويأكلَ وحتى نتأكدَ أنّ «عصابةَ الويك أند» لن تأتيَ لتلتهمَ طعامَهُ.

حينَ انتهى الويك أند نزلنا إلى بيروتَ وأوصيْتُ ريّان وتيما وحتّى كلَّ أبناءِ الجيران أن يفتشوا عليه دائما ويطعموه أثناءَ غيابِنا.

في الأسبوعينِ التاليين لمْ نعثُرْ على «كرة الفرو» بالرغمِ من تفتيشِنا عنه ليس في حيِّنا فقط ولكنْ تقريبا في كلِّ سوق الغرب. وقد ساعدَنا أولادُ الجيرانِ جميعاً ولكنْ دون جدوى. لمْ يكنْ للصغير اسمٌ حتى نناديَهُ سوى كرةِ الفروِ. كنا نفتشُ في أيِّ مكانٍ ملائمٍ لاختباءِ هرٍّ غريبٍ، خائفٍ وخجول، ولكنه اختفى تماماً دون أن نعرفَ عنه شيئا.

– ربَّما عادَ إلى بيتِهِ خارجَ القرية قال ميشال، أحدُ أصحابِنا الجُدُد.

– أو ربما دهسَتْهُ سيارةٌ مسرعةٌ، قالت مريانا. ولكنَّ أمي طمأنَتْنا قائلة: «لا تقلقوا عليه، لكلِّ هرٍّ سبعُ أرواحٍ وأنا متأكدةٌ انه لم يستهلكْها كلَّها بعد».

– ولكن لماذا لا يدافعُ عن نفسِه؟ لماذا لا يواجهُ باقي الهررة؟ إنَّه يتقنُ الهربَ فقط.. يا له من هرٍّ جبان! قال ميشال.

– ليس جبانا.. إنه أصغرُ منهم وهو خجولٌ، قلْتُ ذلك بغضبٍ وكدْتُ أن أتعاركَ معَهُ، لولا وجودُ الآخرين الذين طيَّبوا خاطري.

بالحقيقة لم أكفَّ يوماً عن التفكيرِ بكرةِ الفروِ الشقراءِ والحمراءِ

محاولاً أن أجدَ مبرراً لخوفهِ وهربه.

في شهرَيْ تموز وآب يكونُ الطقسُ في بيروتَ شديدَ الحرارةِ مع أنّ نسيمَ البحرِ ورطوبتَهُ تخففانِ شيئاً من حدةِ الحر. ولكنَ الرطوبةَ تزعجُ والدتي كثيرا، لذلك قرّرَتْ ذاتَ يومٍ أن نُمضيَ جميعاً شهرَ آبَ بطولِهِ في الجبل. لم يزعجْنا كثيراً هذا القرارُ لأنّنَا كنا قد كوّنا شلةً من الأصحابِ في الجبلِ ممن يمضون فصلَ الصيفِ ومَن يُقيمونَ طوالَ شهورِ السنة في سوق الغرب. كنَّا نمضي الوقتَ في مشاهدةِ التلفزيونِ أو ألعابَ الكومبيوتر والفيديو وكنت أساعدُهم في إيجادِ المعلوماتِ على موقعِ غوغل ليُنْجزوا بعضَ فروضِ العطلةِ الصيفية. كذلك كانت لدينا ساعاتٌ للمطالعةِ والاستلقاءِ في ساعاتِ الظهيرةِ حينَ تكونُ حرارةُ الجو مرتفعةً جداً وكأنَّ قُرْصَ الشمس معلقٌ فوقَ سوقِ الغرب مباشرةً. ما إن تصبح الساعةُ الرابعةَ والنصفَ حتى نبدأَ بالتجمعِ لنقومَ برحلةٍ مشياً على الأقدامِ أو نذهبَ بالباصِ أو السرفيس إلى عاليه أو بحمدونَ للتنزهِ وأكلِ المثلجات.

في إحدى نزهاتنا باتجاهِ رأسِ الجبلِ في سوقِ الغربِ استرعى انتباهَنا تجمّعٌ لعدة صبيانٍ حوْلَ شجرةِ جوزٍ عاليةٍ وهم يرشقونَها بالأحجار. اقتربنا منهم وفي ظنّنا أنهم يحاولونَ إسقاطَ حبّاتِ الجوزِ الخضراء وأكلَها، لأنها صعبةُ المنالِ ولا يمكنُ الوصولُ إليها. ما إن اقتربْنا حتى سمعْنا واحدَهُم يقول:

– لقد هربَ إلى الأعلى.

– إنه على الغصنِ الأخيرِ ألا تراه؟

– اضربْه بحجرٍ واقضِ عليه!



هكذا كانوا يَصرخونَ بحماسٍ وعدوانية. اقتربت أنا وريان وميشال منهم:

– ما هذا الذي ترشقونه بالأحجار لتقضوا عليه؟

– إنَّه ثعْلب.

– ثعلبٌ هنا؟ في سوق الغرب؟ وفي عزِّ الصيف؟ تساءَلَ ميشال.

– نعم لقد تبعْناه فهربَ منا وتسلَّقَ شجرةَ الجوزِ، يجبُ أن نقضيَ عليه، أجابَ أكبرُ الصبيةِ وقائدُهُم كما تبيَّنَ لنا فيما بعد.

اقتربْتُ من جذعِ الشجرةِ ونظْرتُ إلى الأعلى وصرخْتُ فجأةً أنا وريَّان معًا:

– إنَّه هرٌ.. إنه هرٌّ.. إذ اكتشفْنا «كرة الفروِ» الشقراءَ والحمراءَ مُسمَّرةً في أعلى الشجرةِ والأحجارُ تتوالى عليه وهو مُرتعبٌ لا يستطيع الصعودَ ولا الهبوط.

– إنّه ثعلبٌ أنا متأكد.. إنه ثعلب، قال أحدُهُمْ.

– لقد أكلَ دجاجاتِ جيراننا في الأسبوعِ الماضي.

– وأكلَ أرانبَ جدّتي، إنّه نفْسُ الثعلبِ أنا متأكد.

– ولكنَّهُ هرّ. إننا نعرفُهُ جيدا، إنه يشبه غارْفيلد، ألا تشاهدونه على التلفزيون؟

– أؤكِّدُ أنه ثعلبٌ قال قائدُهم وتناولَ حجراً كبيراً وصوَّبه نحو «كرة الفرو» ولكنني أمسكتُ بيده بقوةٍ وانتزعْتُ الحجرَ من يده.

نادى رفاقَهُ وغادروا المكانَ غاضبين وهم يهددون بالعودةِ للقضاءِ عليه، وما إن ابتعدوا حتى اخذوا يصرخون: ثعلب.. ثعلب.. ثعلب.. ثعلب....



صَعدْتُ إلى شجرةِ الجوزِ وحاولتُ أن أُنْزِلَ الهرَّ دون جدوى، ومجدداً نظر إليَّ بعينينِ ذليلتين وهو يرتجفُ من الخوفِ، قال ميشال:

– بما أنَّك تعرفُهُ لماذا لا تناديه باسمه فينزِلُ ونحاولُ نحن أن نحميَهُ ونطعمَه؟

– ولكن لا اسمَ له أجبتُه، فقط نشيرُ إليه «كرة الفرو».

– إذا كانَ جباناً إلى هذا الحدِّ يجب أن تسمِّيَه اسماً يشجِّعُه، مَثلًا رامبو أو عنتر.

– لكنَّ عنترَ كانَ بطلاً أسودَ اللَّوْنِ، قلتُ لميشال.

– لا بأسَ قالَ ريَّان، فلنسمِّه «عنتر الأشقر». اتفقنا أن نسميه «عنتر الأشقر» منذُ تلكَ اللحظة.

– ربَّما أصبحَ الآنَ أكثرَ جرأةً وشجاعةً قالَ ميشال ساخراً.

بعدَ أنْ أحضرنا له بعضَ الطعامِ نَزِلَ مِنْ أعلى شجرةِ الجوزِ والتهمَ طعامَهُ ولكنَّ نظراتِه بقيَتْ مرتاعةً حزينةً وذليلةً وكأنَّه يحاولُ أن يقولَ لنا سراً ونحنُ لا نفهمُ ما يقول.

في طريقِ العودةِ إلى البيتِ كنتُ خائفاً على «عنتر الأشقر» ولكنْ فعلا تمنيت أن يصبحَ أكثرَ جرأةً وأقل جبناً مما كان، خاصةً إنني لاحظت أنه كبُرَ ولم يعُدْ كرةً صغيرةً من الفروِ الأشقرِ والأحمر.

حينَ أخبرْتُ مريانا بعدَ عودتي من رأسِ الجبلِ عن الهرِّ الصغير الذي لم يعُدْ صغيراً، وأخبرتُها أيضا أننا أسميناهُ «عنتر الأشقر» سمعَ والدي فضحكَ كثيراً. قال إذا بقي جباناً يجب أن تعيدَ تسميَتَهُ لأنَّ صاحبَ هذا الاسمِ يجب أن يكونَ قوياً وحتى بطلاً بين كلِّ الهررة.

- كادوا يصيبونَه بأحجارِهم، قلتُ لأبي. هل تظنُّ أنَّهُ فقد روحا من أرواحه السبعة؟ ضحك والدي ووالدتي معاً وقالا:

- حسنا بَقِيَتْ له ستةُ أرواحٍ لمْ يستعملْها بعد. يجب أن تكُفَّ عن الخوف عليه.

- ماذا لو لاحقَه هؤلاء الصبية ليؤذوهُ خاصة أنّهم أصرّوا على أنّه ثعلب؟

تبرّعتْ أمي أن تسألَ الجيرانَ إذا سمعوا أنَّ ثعلباً يأكلُ دجاجاتِهِمْ أو الأرانبَ في البلدة.

ولكنَ أعترفُ بسرٍّ أنّني ولبضعِ دقائقَ أُصبْتُ بالحَيْرةِ ماذا لو كان

«عنتر الأشقر» ثعلباً حقيقياً وليس هراً؟ أخبرتُ مريانا عن مخاوفي فاقترحَتْ أن نفتشَ في الكومبيوتر عن صورةٍ للثعلبِ ونقارنَ بينها وبين «عنتر الأشقر». هكذا فعلنا وتأكدنا بعدها انَّه حتماً هرٌ وليس بثعلب.

لَمْ تمضِ أيامٌ قليلة حتّى سرَتْ شائعاتٌ في كلِّ سوق الغرب أنَّ هناك ثعلباً يأكلُ الدجاجَ والأرانبَ وحتى إنَه هاجمَ زريبةً للخراف يملكُها راعٍ في أعلى الجبل. ولكنَّ كلَّ التحقيقات التي أجرتها أمي مع الناس في حَيّنا وفي الأحياءِ الأخرى أنكروا جميعاً أنهم فقدوا أيَّ دجاجٍ أو أرانبَ أو دواجنَ أخرى.

تأكَّدْتُ حينها أنَّ الصِّبيةَ الأشقياءَ هم من نشروا الشائعات في البلدةِ أنَّ هناك ثعلباً مؤذياً وأنَّه يجبُ القضاءُ عليه. ولعدَّةِ أسابيعَ لمْ أرَ لا أنا ولا رفاقي «عنتر الأشقر». كنا نفكرُ أنه ربما قضوا عليهِ أو أنه هربَ منهم إلى خارجِ البلدة. احتياطاً كنّا نأخذُ بعضَ الطعامِ في رحلاتِنا، وحينَ نمرُّ تحتَ شجرةِ الجوزِ كنا نتركُ شيئًا منَ الطعامِ في الأسفلِ إذ ربما مرَّ «عنتر الأشقر». وفي اليومِ التالي كنَّا نتفقدُ الطعامَ فنجدُهُ اختفى.

لَمْ تخفُتْ الشائعاتُ عن ثعلبٍ لونهُ أحمرُ وأشقرُ يسرقُ الطعامَ حيث يجدُهُ عدا أكلِ الدجاجِ والأرانبِ وأنه محتالٌ، خبيثٌ وسريعُ الجري وأنَّهُ يجبُ القضاءُ عليه بأسرعِ وقت. لم تنجحْ كلُّ الحججِ وكلُّ التفاسيرِ

التي كنا نحاولُ بها مواجهةَ المروّجين للشائعاتِ حولَ هرٍّ أشقرَ أحمرَ لدرجةٍ أننا أحيانا أخذنا نشكُّ أنهم ربما كانوا على حقٍ وأننا نحن مخطئون إذ ربمَا تكون كرةَ الفرو نصفَ هرٍّ ونصفَ ثعلب.

في الأَسبوعِ الأولِ من أيلول دعوْنا أصحابَنا في الجبلِ إلى قضاءِ أسبوعٍ لدينا في رأس بيروت. كنَّا نترافقُ وإيَّاهُم إلى البحرِ خاصةً وأنَّ ريان وتيما يسكنانِ أيضا في حيِّنا في الروشة. أمَّا باقي الشهرِ فكنا نحضِّرُ لوازمَ المدرسة قبلَ بدءِ العام الدراسيّ. ولكنْ بين تشرين الأول وتشرين الثاني يقولُ اللبنانيون إن هناك صيفاً ثانيًا. إذ تمرُّ بعضُ الأيّام يصبِحُ الطقسُ حاراً جداً، لذا قررنا تمضيةَ «الويك أند» الصيفيِّ الأخيرِ في الجبلِ وأعلمنا الرفاقَ أننا سنلتقي وإيَّاهُم لوداعِ صيفيةِ الجبلِ.

اجتمعَ الصبيانُ في بيتِنا بعد ظهرِ السبتِ وتناولْنا المرطباتِ والمثلجاتِ وحين غابَتِ الشمسُ وانكسرَ الجوُّ قالَ ميشال وفادي (صاحب ميشال) إنهما تواعدا على مباراةٍ للفوتبول في ملعبِ مدرسةِ البلدةِ عندَ الساعةِ السادسةِ مساء، بعد أن يبردَ الجو. قرَّرتْ مريانا وتيما ولُولوَة صديقتُهُم الكويتية الجديدة، أن يرافقانا إلى الملعبِ لتشجيعِ فريقنا. وصلنا إلى المدرسةِ وإذا بجميع الشبانِ يحملونَ العُصيَّ وحتَّى شرطيُّ البلدية معَهُمْ يعطيهمُ التعليمات لمحاصرةِ الثعلبِ الذي هربَ منهم ودخل إلى المدرسةِ ليختبئ. أقفلوا الأبوابَ عليهِ كي لا

يهربَ، وكانوا جميعاً ينتظرونَ المديرَ لأنَّه لا حقَّ لهُم باقتحامِ المدرسةِ دُونَ إذنه. وصلَ المديرُ أخيراً وكان الكلُّ مجهزاً بالعصيِّ والهراواتِ وحتى إنَّ بعضَ الصِّبيَة حملوا الأحجارَ لرشقه.



– مَنْ منكُم رأى الثعلب؟

– نحنُ رأيناهُ، قالَتْ جماعةٌ منهم، وتعقّبْنَاهُ لكنَّه هربَ منا واختبأ داخلَ المدرسة.

– حسناً سوف نفتّشُ عليهِ غرفةً غرفة، ولكنْ سوف أدخلُ مع الشرطيِّ ونلقي عليه شبكةً ونقبضُ عليه قبلَ أن توسعوهُ ضرباً فلا يعودُ إلى البلدةِ إطلاقا، قالَ المدير.

غابا وقتاً طويلاً وكنَّا نسمعُ أبواباً تُفتحُ وأبواباً تُغلقُ والمديرُ والشرطيُّ لم يعودا بعد. كان الجميعُ يتأهَّبُ ليطبقوا على الثعلبِ، نحن لم يكن لدينا هراواتٌ ولم نكن نعلم بالحادثةِ قبلَ الوصولِ إلى المدرسة. مضَتْ نصفُ ساعةٍ أخرى فقال صبي:

– يبدو أنه هربَ من سياجِ المدرسةِ المقابل.

– يا له من محتالٍ وغدّارٍ، قالَ آخر.

– سوف ننالُ منه، أينما ذَهبَ سوف ترون، قالَ ثالثٌ بحماسٍ أكبر.

دقائقُ منَ الانتظارِ والقلقِ مَضَتْ وفجأةً ظهر المديرُ والشرطيُّ يحملان شبكةً وفيها حيوانٌ كبيرٌ لم أتبيَّنْهُ جيداً بسببِ خفوتِ الضوء.

– أهذا هو الثعلبُ الذي تعقّبتموه؟ قالَ الشرطيّ.

– هذا هو، هذا هو، قالوا بصوتٍ واحد.

– ألا تعرفونَ الفرقَ بينَ الثعلبِ والهر؟ قال المدير. حينها اقتربْتُ من المدير:

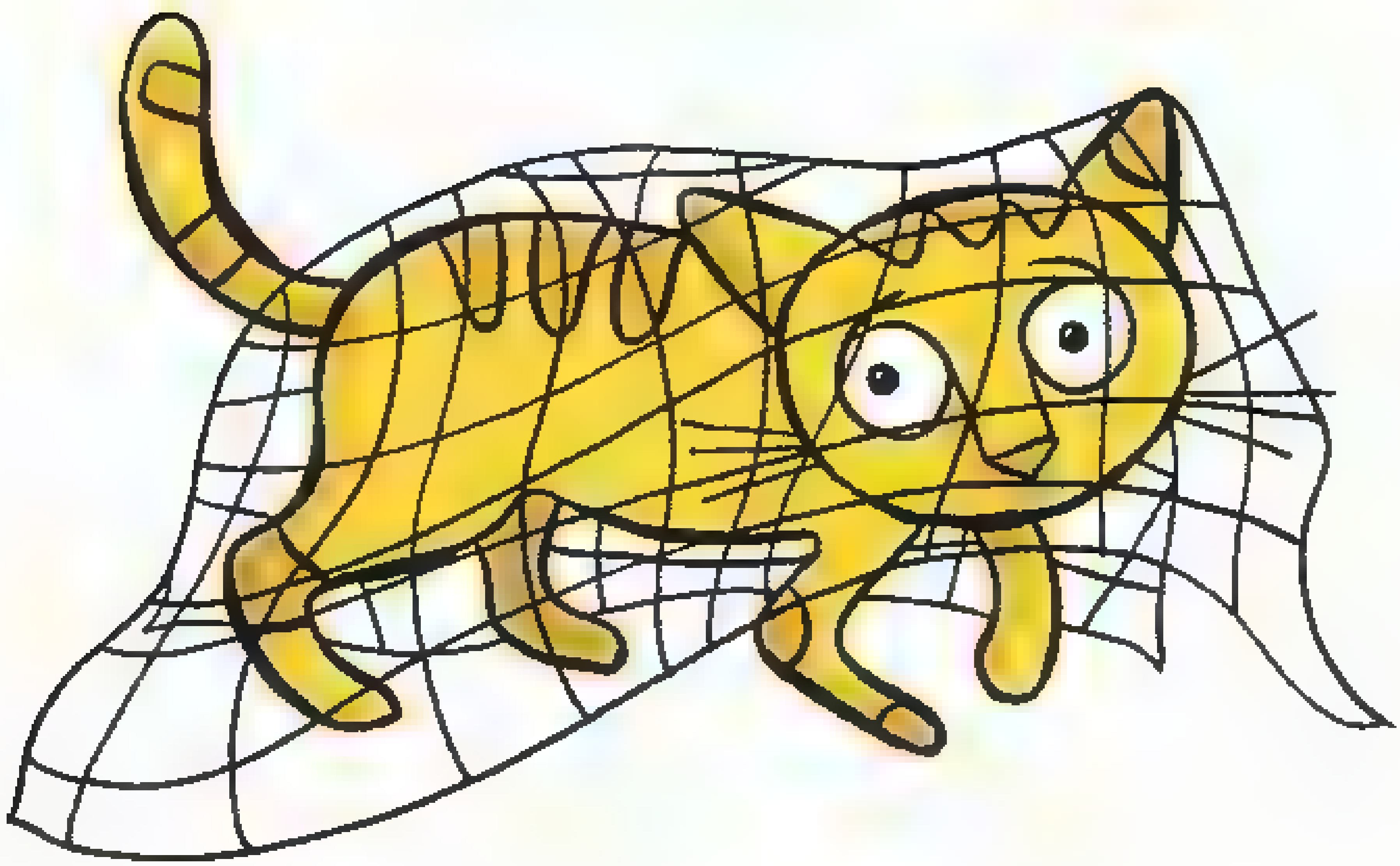
- سيدي إنّه هرّي، إنه هرُّنا، هذا «عنتر الأشقر».

- لماذا «عنترك» يخافُ إلى هذا الحد؟ يجب أن تغيِّر اسمَه... قالَ المدير.

- إنه خجولٌ وجبانٌ، وقد سمَّيتُهُ «عنتر» حتى يُصبحَ أكثرَ جرأةً وشجاعة.

- إنّه لا يدافعُ عن نفسِه، إنه لا يرفعُ صوتَه، يا له من جبانٍ، سمّه اسماً آخر. قالَ الشرطيُّ ساخرا.

- هيا إلى بيوتِكم، صرخَ المديُر، يا لكم من تلامذةٍ مميَّزين لا تعرفون الهرَّ من الثعلب.



اقترَبْتُ من المديرِ فأخرجْنا «عنتر الأشقر» من الشبكةِ وحملْتُهُ بين ذراعيَّ إلى البيت. سمعْتُ صوتَ المديرِ يتبعُنا ونحنُ عائدون إلى البيت:

– لا تدافعْ عنه، دعْه يواجه باقي الهررة ويتعارك معها عندها يصبح قوياً مثلهُمْ.

– لا افهمُ لماذا يكرهونَهُ ولماذا يعتدونَ عليه دائماً. أنا لا أفهمُ عدوانيتَهُمْ ولا افهمُ أيضاً جُبنَهُ وخوفَه، أجبْتُ المدير ولكنَّهُ كانَ قد أصبحَ بعيدا واختفى في الظلام. أظنّهُ لم يسمعْني.

حينَ عُدْنا إلى البيتِ أطعمنا «عنتر الأشقر» وقد لاحظنا أنَّهُ كبُرَ كثيراً ولكن مازال ينظرُ بعينينِ ذليلتينِ مذعورتينِ ومنكسرتين دون أن يموءَ أو يَصدُرَ عنه أي صوت. حاولنا إقناعَ أمي بأخذِهِ معنا إلى بيروت



ولكنَّها أصرَّتْ على أنّ هذا لن يحدثَ أبداً. ولكنّها مستعدةٌ لإرسالِ الطعامِ المغذّي إليه كُلَّ أسبوعٍ ليسمَن ويقوى خاصةً مع اقترابِ فصلِ الشتاء.

– على الأقلِّ عرفوا الآن أنه هرٌّ وليس ثعلباً، قال والدي.

فعلاً اختفى الحديثُ عن الثعلبِ في البلدةِ وتأكّدنا بعدَها أنَّ كلَّ خبرياتِ سرقةِ الدجاجِ وأكلِ الأرانبِ ومهاجمةِ الخرافِ وغيرِها لَمْ تكن إلّا من خيالِ أبناءِ البلدة. لذا حينَ عُدْنا آخرَ ويك أند من الجبلِ كنت قد أصبحتُ أنا ومريانا أقلَّ خوفاً عليه، خاصةً وقد وعَدَ الجيرانُ بإطعامهِ وإيوائهِ قربَ النَّارِ حين يصبحُ الجوُّ بارداً جداً في سوقِ الغرب، خاصَّةً حين ينزلُ الثلج.

جاءَ شهرُ شباط مِنْ ذلك العام وكان بارداً جداً. في منتصفِ الشهرِ أعلَنَتِ الإذاعةُ والتلفزيون أنه يُتَوقَّعُ أن يتساقطَ الثلجُ على علوِّ ٨٠٠ مترٍ عن سطحِ البحر.

– إذاً سوفَ تُثْلِجُ في سوقِ الغربِ، علّق والدي حين انتهَت الأخبار.

– ماذا سيحلُّ بـ «عنتر الأشقر»؟ تساءلْتُ بصوتٍ عال.

– أنتَ لا تفكِّرُ إلا به، قالت والدتي.. سوفَ يتدَبَّرُ أمرَه، لقد أصبحَ هراً كبيراً.

في صباحِ اليومِ التالي وكنا قد استيقَظنا وبدأنا نتناولُ الفطوَر حينَ رنَّ التلفون وكانَ المتكلِّمُ جارَنا في الجبل.

– أبو فؤاد، صباحُ الخير ماذا عندَكُم؟ هل هطلَ الثلجُ سألَ والدي؟
– إنّه يهطلُ الآنَ وعليكُم أنْ تَحْضَروا بسرعةٍ، قالَ جارنا.
– خيرٌ انشاء اللهُ ماذا حصلَ للبيت؟
– البيتُ بخير ولكن في أعلى القرميدِ وفوقَ السطحِ قَدْ تسمَّرَ هرُّكُم وكأنَّ قدمَيْهِ ويديْهِ قدْ علقتا بالجليد. لم نسمعْ صوتَه ولكن حينَ رأيناه أيقنّا أنّه عالق.
– هل مازال حياً؟ سأل والدي.
– لا ندري، إذْ لا نستطيعُ تسلّقَ السطح ولا القرميدِ، وهو لا يتحّرك ولا يموءُ ونفانيفُ الثلجِ تتساقَطُ على المنطقةِ كلِّها. نرجو أن تُسرعوا لتفتحوا بابَ السطحِ فَيسْهُلَ الوصولُ إليه.
لَمْ نُكملْ فطورَنا، أسرعْتُ مع والدي إلى السيارةِ بَعْدَ أن أعطتْنا أمي شالاً قديماً من الصوفِ وبعضَ الطعامِ، ثم نظرت إليّ قائلة:
– لا تخَفْ، لا تنس ما زال لديْه خمسُ أو ستُّ أرواحٍ.
الطريقُ إلى الجبل كانت جدَّ خطرةٍ لأنَّ الأرضَ قَدْ تجلّدتْ ونفنافَ الثلجِ يكادُ يحجبُ الرؤيةَ خاصةً حينَ وصلنا إلى عاليه. لَمْ نتكلّمْ أنا ووالدي طوالَ الطريقِ كنتُ قلقاً على هرّي الذي ربما يكونُ قد تجلّدَ كليّاً وطُمِرَ تحتَ الثلج.
وصلْنا إلى سوق الغرب وكان معظمُ سكانها مازالوا نائمين، إذْ لا حركةَ في الشارعِ ولا بدَّ أنَّ الجميعَ متحلّقٌ حول مدافىءِ النارِ في

بيوتِهم. كنتُ أصلِّي بحرارةٍ قبلَ الوصولِ إلى بيتِنَا وأتساءلُ هل كانت أمي دقيقةً في قولِها أن لـ«عنتر الأشقر» خمسَ أو سِتَّ أرواحٍ إضافية؟



أخيراً وصلْنا إلى البيتِ حيث كانَ بعضُ الجيران في استقبالنا ومن بينهم صديقي ميشال والكلُّ يتطلعُ إلى سطحِ القرميدِ الذي يكلّلُ بيتَنا. في أعلى القرميدِ تمثالٌ أبيضُ صغيرٌ على هيئةِ هرٍّ تساقطَ عليهِ الثلجُ وأصبحَ قطعةً منَ الجليد. ميشال وأنا بدأنا بالبكاءِ. أبي لم ينتظرْ، دخلَ البيتَ مع جارِنا ابو فؤاد وصعدا إلى السطح. استعان والدي بسلّمٍ ألقاهُ على القرميدِ المنحني في حينِ امسكَ جارُنا بالسلمِ حتى لا ينزلقَ بسببِ الثلجِ. لاحظْتُ أنَّ والدي كان يحملُ سكيناً أو شيئاً حاداً آخرَ لم أتبيَّنْه ونحن في الحديقةِ ننظرُ إلى أعلى. سمعْتُ بعدَها والدي يكسِّرُ شيئاً قاسيا.

– إنَّه يكسرُ الجليدَ من تحتِ قوائمِ عنتر، قال ميشال.

– أتظنه مازالَ حياً؟ ألم تلاحظوا أنهُ تسلقَ إلى السطح؟ ربما كانَ يهربُ من الهررةِ التي تلاحقهُ.. قلْتُ ودموعي تنهمرُ دونَ قدرتي على إيقافها.

توقَّفَ تكسيرُ الجليدِ وشاهدْنا والدي ينفضُ الثلجَ عن الفروِ الأشقرِ والأحمرِ ويغمُرُهُ ثم ينزلُ بكلِّ هدوءٍ ورويةٍ وأبو فؤاد مازال ممسكاً بالسلَّم.

انتظرنا دقائقَ قبلَ أنْ يصلَ والدي وجارُنا إلى مدخلِ البيت. أسرعْتُ إليه:

– هل مازالَ حيا؟

- إنَّه يتنفسُ، قالَ والدي.

جاءَ الجيرانُ ببطانيةٍ صوفية، فلفَّها والدي حولَ الهرِّ المجلَّدِ وقال:

- هيا احملْه.. يَجِبُ أنْ نسرعَ به إلى مركزِ الطبِ البيطريِّ في بيروت.

شكرنا الجيرانَ بعدَ أنْ أقفلَ والدي بابَ البيت.

- أخبِرونا ماذا سيحصلُ، قال ميشال قبل أن تتحرَّكَ السيارةُ مسرعةً إلى بيروت.

- أبي أرجوكَ أسرعْ، قلت وأنا أحتضنُ كتلةَ الفروِ وقد أصبحت كتلةً من الثلجِ البارد.

- لا استطيعُ، الطريقُ خطرةٌ جدا، أجابَ والدي.

عادةً تستغرقُ الطريقُ من عاليه إلى بيروت أقلَّ مِنْ نصفِ ساعة، ولكننا وصلنا إلى بيروت بعد ساعةٍ تقريبا. كانت كتلةُ الثلجِ في حضني قد ملأتْ شالَ الصوفِ والبطانيةَ بالماءِ الباردِ الذي وصلَ إلى ثيابي فبللَّها ولكنْ لَمْ أجرؤْ على النظرِ داخلَ البطانيةِ خوفاً مِنْ أَنْ أجدَ «عنترَ الأشقرَ» قد توقَّفَ عن التنفس.

أخيراً وصلنا إلى مركزِ العياداتِ البيطريّةِ في رأس بيروت وما إن دخلْنا حتى جاءَ الطبيبُ ومعهُ مُساعدَتَهُ. وضعْنا البطانيَةَ الملفوفةَ حولَ الهرِّ على طاولةِ الفحصِ واقتربَ الطبيبُ وأخذَ يُزيلُ الأغطيةَ عن الهرِ وما إن انتهى حتى صرخْتُ:

- إنّه حيٌّ.. إنّه ينظرُ إلي.. وبالفعل كانت عيناهُ المذعورتان تنظران إليَّ وتستغيثان بي مرّةً أخرى وكأنهما تتكلمان معي وأنا لا افهم.

- ماذا حدث لهذا المسكين؟ سألَ الطبيب.

لم أَكُنْ قادراً على الكلامِ لشدةِ تأثري ولكنَّ والدي شرحَ له كلَّ شيءٍ وبكلِّ التفاصيل. نام «عنتر الأشقر» على الطاولةِ دون حراكٍ وأخذَ الطبيبُ يفحصُهُ وقاسَ حرارتهُ ونَبْضهُ، ولكنْ حينَ نظرَ إلى أسفلِ قدميهِ ويديهِ بدا قَلِقا. عِنْدَها سألْتُ:

- مَاذا دكتور، ماذا حدَثَ لقدميْهِ ويديه؟

- لقد تجلدتا ومِنَ الممكن أن ينسلخَ الجلدُ عنهما.

- أرجوك ساعدْهُ.. لن يستطيعَ أن يمشي إذا انسلخَ جِلْدُه.

طلبَ الطبيبُ من مساعدَتِهِ أن تجلبَ حقنةً ومَرْهماً. حقن الهرَّ ووضعَ الكثيرَ من المرهمِ على أسفلِ اليدينَ والقدمينِ ولفهما بالشاشِ الأبيضِ النظيف.

- ما اسمُ هرِّك؟ سألني الطبيب.

- «عنتر الأشقر».. قلت

- إنّه هرٌّ جميلٌ، واسمُه أجمل، ولكنْ لماذا أسميْتَه بهذا الاسم، سألني الطبيب.

حَكَيْتُ لَهُ قصّتي مع هذا الهرِّ ومع خوفِهِ وجَبنِهِ وهربِهِ الدائمِ واختبائِهِ وسببِ تسميتي له بـ «عنتر الأشقر».

- وهل أصبح شجاعاً بعدَ هذه التسمية؟

- لا مازال خجولا وجبانا، قُلْتُ بأسفٍ، فهوَ كادَ يتجلَّدُ فوق السطحِ ولم يصرُخْ ولم يموُّ حتّى يُخلِّصوه، لقد شاهدوه صُدْفةً، قلْتُ للطبيب.

- حِينَ تهاجِمُهُ الهررةُ الشرسةُ كما قلت، ألا يصرخُ في وجهها؟ وكذلك حِينَ حبسوهُ في المدرسة ألم تسمعوا مواءَهُ؟

- لا أبداً، يا له من جبانٍ تعسٍ، ولكنني أحبُّهُ، أجبْتُ بحرارة.

نظر إلي الطبيبُ بكثيرٍ من الجدية:

- رامي، لقد قلْتَ أنك تعرّفْتَ على صديقِكَ هذا منذُ ثمانيةِ أشهرٍ أي في أوّل الصيفِ، وإنّه لا يدافعُ عن نفسهِ وإنّهم يضطهدونه ولا يجابههم، وإنّه علقَ على الجليدِ ولم يموُّ أو يصرخ. والآن حَقَنْتُهُ بإبرةٍ ولم يفتَحَ فمهُ، وكذلك غطيْتُ أسفلَ يديهِ وقدميهِ وهما شبهُ مُهْتَرِئَتَيْنِ ولم يصرُخْ من الألم، هل خطر ببالِكَ السببُ يا رامي؟

- لأنّهُ جبانٌ، لقد ولد جباناً.

- ليس جباناً.. إنّهُ اخرسُ، لقد وُلِدَ أخرسَ وأطرشَ، هذا كلُّ ما في الأمر، قال الطبيب. كان يجبُ أن تلاحظ هذا خلالَ الصيف.

تجمَّدْتُ أنا ووالدي ونظرْتُ في عينيهِ ولاحظْتُ أنَّ هناك دموعاً.. لم نتكلَّمْ ولكنَّ والدي غمرني وقبّلني لأنني أجْهَشْتُ بالبكاء.

- ولكنْ لماذا تكرهُه الهررة، ويهاجِمُهُ الأولادُ، والجميعُ يُؤْذونَهُ، قلتُ باكياً.

– لأنهُ مختلفٌ، قال الطبيب. لقد اكتشفتِ الهررةُ قبلَكُم بكثيرٍ أنَّه أخرس وأطرش، وأنَّهُ مختلفٌ، لذلك تألبَّتْ عليه والصِّبيةُ اكتشفوا أنهُ ضعيفٌ ولا يستطيعُ الدفاعَ عن نفسه، لذَلك تَنَمَّروا عليه.

– لماذا؟ لماذا؟ كنتُ أكرِّر دونَ انقطاعٍ والدموعُ مازالت في عينيَّ ووالدي يغمرُني بحزن.

– صعبٌ جداً أن تكونَ مختلفاً.. هرُّكم ليسَ جبانا، إنَّهُ يحاول البقاءَ بالأساليبِ التي يستطيعُها، إنَّهُ عنترٌ حقيقيٌّ، قال الطبيب وربَّتَ على كتفي.

اتفقنا أنْ نُبقيَ «عنتر الاشقر» لدينا في بيروت، إذ أنَّ أمي أيضا أشفقَتْ عليهِ كثيرا. أصرَّ الطبيبُ أن نأخذهُ إلى العيادةِ كلَّ يومٍ للكشفِ على يديهِ وقدميه. بقي طوال أشهرِ الربيعِ إلى أن تعافى كلياً وأصبح كبيرَ الحجم، سميناً وقوياً.

في أوَّلِ الصيفِ عُدْنا إلى بيتِنا في الجبلِ والزائرُ الصغيرُ الذي أصبحَ كبيراً عادَ معنا. وحينَ اقتربَتِ العصابةُ الشرسةُ منْهُ لم يتحرَّكْ، بل تابعَ طعامَهُ، كان يختلسُ النظرَ إليّ فقط وكأنهُ يتشجَّعُ بوجودي قربَه. والآن أخشى عليه وأفكر بِهِ دائماً وأنا جالسٌ لأدرسَ مع أن الطبيبَ أكَّدَ لنا حينَ تعافى أنَّهُ هرٌ ذكيٌّ ولديهِ أساليبُ كثيرةٌ لِحمايةِ نفسهِ وللتعايشِ مع الآخرين دونَ مجابهتهم والعراكِ معهم. لقد قال:

– إنّهُ عنترٌ أشقرُ حقيقيٌّ ويبدو أنَّ لديْهِ أكثرَ من سبعِ أرواحٍ.





عنتر الأشقر هو هرّ حقيقي يزورنا في بيتنا في الجبل. لقد مرّ وقت طويل قبل أن أكتشف أنّ خوفه وخجله والحزن الدائم في عينيه قد نتج عن عدم قدرته على التّعبير أو الصُّراخ بوجه من يحاول إيذاءه وهم كثر. حين يحضر لتناول طعامه يمنحني فرحاً غريباً لأنني أدرك أنّه ينظر إليّ كصديق، إذ أدرك أنّني اكتشفت إعاقته وأنّني إكتشفت قدرته على تجاوزها ببسالة وذكاء. أصبحت صداقته تحرّك بي الكثير من المشاعر وأنتظر قدومه كلّما ذهبنا إلى الجبل. منذ مدّة لم يحضر، غير أنّني واثقة أنّه سيفاجئني يوما وستكون عيناه أقلّ حزنا وأكثر جرأة. وربّما يكون لديه قصص أخرى ترويها عيناه فأكتب كتابا آخر عنه وعن مغامراته في مواجهة حياة قاسية غير متوقّعة.

ISBN 9953-513-85-0
9 789953 513850
Book # A 313
أصالة
للنشر والتوزيع